

الأسس الإبستمولوجية لمشروع محمد شحرور في قراءة التنزيل الحكيم: مقارنة تحليلية
نقدية

The Epistemological Foundations of Muhammad Shahrur's Project in Interpreting Tanzil al-Hakim: An Analytical and Critical Approach

بوعلي مبارك¹

¹ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة (الجزائر)

mebarek.bouali@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2026/04/10 تاريخ القبول: 2026/07/04 تاريخ النشر: 2026/08/12

ملخص:

يتناول هذا المقال تحليل الأسس الإبستمولوجية التي يقوم عليها مشروع محمد شحرور في قراءة "التنزيل الحكيم"، حيث يسعى إلى بناء منهج معرفي جديد لفهم النص الديني قائم على القطيعة مع التراث التفسيري التقليدي، واعتماد أدوات معرفية معاصرة تجمع بين التحليل اللغوي والنظرة العلمية العقلانية، إذ يؤكد على إعادة تعريف المفاهيم القرآنية داخل نسق دلالي معاصر، وفصلها عن التراكمات التاريخية والمذهبية، بما يجعل النص مفتوحا على التأويل المتجدد وفق شروط العصر، كما يقف المقال موقفا نقديا من هذا المشروع، مناقشا مدى اتساقه المنهجي وحدوده المعرفية، خاصة في علاقته بسلطة النص الديني وثباته من جهة، وإمكانات التأويل الإنساني المتغير من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: الأسس الإبستمولوجية، محمد شحرور، التنزيل الحكيم، قراءة النص الديني، التأويل النقدي.

Abstract:

This article analyzes the epistemological foundations of Muhammad Shahrur's project in interpreting the Tanzil al-Hakim

"The Wise Revelation", It aims to establish a new cognitive methodology for understanding the religious text, grounded in a deliberate rupture with traditional exegetical heritage and employing contemporary epistemic tools that integrate linguistic analysis with a rational, scientific perspective, The approach emphasizes redefining Qur'anic concepts within a modern semantic framework, separating them from historical and sectarian accumulations, thereby rendering the text open to continuous reinterpretation in accordance with the demands of the contemporary era, The article also adopts a critical perspective on this project, assessing its methodological coherence and epistemic limitations, particularly regarding the authority and stability of the religious text on one hand, and the evolving potential of human interpretation on the other.

Keywords: Epistemological foundations, Muhammad Shahrur, .Tanzil-Hakim, reading of the religious text, critical interpretation

* بوعلي مبارك

1. مقدمة

تعد إشكالية قراءة النص الديني من أكثر الإشكاليات حضورا وإثارة للجدل في الفكر الإسلامي المعاصر، وذلك في ظل التحولات العميقة التي عرفها الوعي المعرفي المعاصر، وما رافقها من مراجعات نقدية لمناهج الفهم والتفسير الموروثة، فقد أفرزت هذه التحولات وعيا متزايدا بحدود التفسير التراثي الكلاسيكي، الذي تشكّل ضمن سياقات تاريخية وثقافية مخصصة، ولم يعد قادرا - في نظر عدد من المفكرين المعاصرين - على استيعاب تعقيدات الواقع المعاصر وأسئلته المعرفية والقيمية المتجددة، ومن هنا برزت دعوات متعدّدة إلى تجاوز منطق "التفسير" القائم على إعادة إنتاج المعنى الموروث، نحو تبني "القراءة التأويلية" التي تجعل من النص

الديني مجالا مفتوحا للفهم المتجدد، وتؤكد دور العقل والسياق التاريخي في إنتاج الدلالة.

في هذا السياق الفكري العام، يندرج مشروع المفكر السوري "محمد شحرور" (1938-2019) بوصفه أحد أكثر مشاريع تجديد قراءة النص القرآني إثارة للنقاش والاختلاف، سواء من حيث خلفياته المعرفية أو من حيث نتائجه التأويلية، إذ لم يكتف شحرور بتقديم اجتهادات جزئية في تفسير بعض الآيات أو القضايا، بل سعى إلى بناء مشروع متكامل لإعادة قراءة التنزيل الحكيم، يقوم على إعادة تأسيس العلاقة بين النص والعقل والواقع، وعلى مراجعة جذرية للأدوات المنهجية والمعرفية التي حكمت التفسير الإسلامي التقليدي. وقد ارتكز هذا المشروع على جملة من المسلّمات الإبستمولوجية، أبرزها التمييز بين النص الإلهي المطلق وقراءات البشر النسبية، ومركزية العقل في الفهم، وإعادة الاعتبار للبنية اللغوية للنص، مع الانفتاح على منجزات المعرفة العلمية الحديثة.

غير أن هذا المشروع، على الرغم من طابعه التجديدي، يثير أسئلة إبستمولوجية ومنهجية عميقة، تتعلق بمدى نجاحه في تأسيس إبستمولوجيا جديدة فعلا لقراءة النص القرآني، وبحدود هذه الإبستمولوجيا وإمكاناتها، فضلا عن الإشكالات التي قد تترتب على اعتمادها، سواء على مستوى اللغة أو المنهج أو المرجعية الدينية.

ومن هنا تتحدد إشكالية هذا المقال في التساؤل الرئيس الآتي:
إلى أي حد نجح محمد شحرور في تأسيس إبستمولوجيا جديدة لقراءة التنزيل الحكيم؟.

وينبثق عن هذا السؤال سؤالان مركزيان:

- ما المرتكزات المعرفية والمنهجية التي تقوم عليها هذه الإبستمولوجيا؟ -
- وما حدودها وإمكاناتها، والإشكالات التي تثيرها على مستوى فهم النص الديني؟.

وانطلاقاً من هذه الإشكالية يفترض المقال جملة من الفرضيات، لعل أبرزها - أن مشروع محمد شحرور يقوم على قطيعة معرفية واعية مع أنماط التفسير التراثي، سواء على مستوى المرجعية أو المنهج أو آليات إنتاج المعنى. - أن الإستيمولوجيا التي يؤسس لها شحرور تتسم بطابع عقلاني- لغوي، وتقوم على تصور تاريخي نسبي للمعرفة الدينية، يميّزين ثبات النص وتحول الفهم. - أن هذه الإستيمولوجيا على الرغم من طموحها التجديدي، تثير إشكالات منهجية ومعرفية تتعلق بحدود العقلانية الصارمة، ونفي الترادف اللغوي، ومخاطر الانزلاق نحو نسبية مفرطة في المعنى.

ولمعالجة هذه الإشكالية والتحقق من فرضياتها، يعتمد هذا المقال المنهج التحليلي النقدي، من خلال تحليل الأسس الإستيمولوجية التي يقوم عليها مشروع محمد شحرور، والكشف عن منطلقاته المعرفية وأدواته المنهجية، ثم إخضاعها للنقد والتقويم في ضوء الإشكالات التي تثيرها، كما يستند المقال إلى المقاربة الإستيمولوجية بوصفها أداة لفهم شروط إنتاج المعرفة الدينية عند شحرور، وحدودها وإمكاناتها في تجديد قراءة النص القرآني ضمن السياق المعرفي المعاصر.

2. الإطار المفاهيمي والمنهجي:

1.2. مفهوم الإستيمولوجيا : الإستيمولوجيا وقراءة النص الديني:

تعدّ الإستيمولوجيا فرعاً فلسفياً يعنى بدراسة المعرفة من حيث شروط إمكانها، ومصادرها، وحدودها، ومناهج إنتاجها، ومعايير صدقها ومشروعيتها، فهي لا تدرس المعرفة بوصفها معطى جاهزاً، بل باعتبارها بناءً إشكالياً تاريخياً ومنهجياً، يتداخل فيه الذاتي بالموضوعي، والعقلي بالسياقي (غاستون باشلار، 1998، ص45).

وقد ساد في الفلسفة المعاصرة التمييز بين الإبستيمولوجيا بوصفها نظرية نقدية للمعرفة، وبين نظرية المعرفة بالمعنى الكلاسيكي التي انشغلت أساساً بمسائل التبرير واليقين (لخضر مذبوح، 2011، ص 123).

وفي السياق العربي ترجمت الإبستيمولوجيا أحياناً بـ«علم المعرفة» أو «نظرية المعرفة»، غير أن هذا الترجمة تخفي بعدها النقدي والمنهجي، إذ إن الإبستيمولوجيا المعاصرة لا تكتفي بوصف المعرفة، بل تفكك آليات اشتغالها، وتكشف عن شروطها التاريخية والثقافية والمؤسسية (زينب إبراهيم شوريا، 2004، ص 25)، ومن ثم فهي تمارس وظيفة تحكيمية نقدية على أنماط التفكير، بما في ذلك التفكير الديني.

حيث شهد الفكر الديني المعاصر تحوُّلاً إبستيمولوجياً عميقاً، تمثل في الانتقال من التعامل مع النص الديني بوصفه حقلاً مغلقاً للمعنى، إلى اعتباره مجالاً مفتوحاً للتأويل، تحكمه شروط تاريخية ولسانية ومعرفية، وقد جاء هذا التحول نتيجة تفاعل الفكر الديني مع منجزات الفلسفة المعاصرة، خاصة فلسفة اللغة، والهرمنيوطيقا، ونقد العقل (زينب إبراهيم شوريا، 2004، ص 26).

في هذا السياق لم تعد الإبستيمولوجيا تشغل فقط على العلوم الوضعية، بل امتد مجالها ليشمل أنماط إنتاج المعنى الديني، من خلال مساءلة مسلمات التفسير التقليدي، وكشف آلياته المعرفية، وحدود مشروعيته.

وقد أسهم مفكرون معاصرون، مثل محمد أركون (1928-2010)، ونصر حامد أبو زيد (1943-2010)، ومحمد شحرور، في إدخال السؤال الإبستيمولوجي إلى حقل الدراسات القرآنية، عبر نقد ما سمّوه بـ«العقل التفسيري التراثي» أو «القراءة اللاهوتية المغلقة» (جابر عصفور، 1994، ص 58).

و تتمثل محاور الإبستيمولوجيا الدينية المعاصرة في:

- نقد ادعاء الحياد واليقين المطلق في التفسير.

- الكشف عن تاريخية الفهم الديني.

التمييز بين النص المقدس والفهم البشري له. -

إعادة بناء العلاقة بين النص والواقع والمعرفة الإنسانية. -

ومن ثم فإن الإستيمولوجيا تعدّ أداة منهجية مركزية في أي مشروع يهدف إلى تجديد قراءة النص الديني، كما هو الحال في مشروع محمد شحرور.

2.2 مفهوم : التفسير - التأويل - القراءة :

يعدّ التمييز بين مفاهيم التفسير، والتأويل، والقراءة من القضايا المنهجية الأساسية في الدراسات القرآنية المعاصرة، نظرا لاختلاف خلفياتها المعرفية ووظائفها الدلالية. - التفسير: يرتبط التفسير تقليديا بشرح معاني النص القرآني اعتمادا على اللغة، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وأقوال السلف، ويقوم على افتراض وجود معنى صحيح ومستقر يمكن الوصول إليه عبر أدوات محددة (محمد العلاونة، 2011، ص145) أما إستيمولوجيا فينتهي التفسير إلى منطق النقل والسلطة التراثية، ويغلب عليه الطابع التقريري والامتثالي، حيث يُنظر إلى المعنى بوصفه معطى مكتملا. التأويل: أما التأويل فينفتح على تجاوز المعنى الظاهر للنص، بحثا عن دلالاته العميقة أو الممكنة، استنادا إلى العقل والسياق والتاريخ، وقد ارتبط التأويل في الفكر الإسلامي بالتيارات العقلانية والفلسفية، كما عند المعتزلة وابن رشد (1126م - 1198م) (هاملتون رجب، 1954، ص122).

وفي الفلسفة المعاصرة، اكتسب التأويل بعدا هرمنيوطيقيا، حيث أصبح المعنى نتاج تفاعل بين النص والقارئ وأفقه التاريخي (عبد المجيد النجار، 2006، ص145). و إستيمولوجيا يفترض في التأويل الاعتراف بتاريخية الفهم، ونسبية الدلالة، وغياب المعنى النهائي المغلق.

- القراءة: أما مفهوم القراءة كما يستعمل في الفكر المعاصر، وخاصة عند محمد شحرور، فيمثل قطيعة مع ثنائية التفسير - التأويل، فالقراءة ليست كشفا عن معنى

سابق بل هي إنتاج للمعنى في ضوء منظومة معرفية محددة (سليمان محمد الدقور، 2008، ص156).

وتقوم القراءة على وعي إبستمولوجي يعتبر النص بنية دلالية مفتوحة، قابلة لإعادة الفهم وفق تطور المعرفة الإنسانية، دون ادعاء امتلاك الحقيقة النهائية (محمد علي الكبسي، 2007، ص25).

وعليه يمكن القول إن:

التفسير ينتهي إلى إبستمولوجيا اليقين. -

- التأويل ينتهي إلى إبستمولوجيا المعنى الممكن.

القراءة تنتهي إلى إبستمولوجيا الانفتاح والتاريخية. -

وهذا التمييز يعدّ مفتاحاً لفهم الأسس المعرفية التي يقوم عليها مشروع محمد شحرور في قراءة التنزيل الحكيم.

3. مرتكزات مشروع محمد شحرور المعرفية: الأسس الإبستمولوجية لمشروع

محمد شحرور:

1.3. مركزية العقل ونقد سلطة التراث:

أحد أبرز مرتكزات مشروع شحرور المعرفية هو تمركز العقل الإنساني كأداة أساسية لفهم النص الديني، مع نقد منهجي للتفسير الموروث ورفض الاحتكار المعرفي للفهم، فهو يرى أن التقليد والتفسير التراثي قيّد الفهم البشري واحتكروا المعنى، ما أدى إلى جمود الفكر الديني (محمود علي أحمد علي صالح، 2015، ص38).

ينتقد شحرور التفسير التقليدي على ثلاثة مستويات:

-- المحتوى المعرفي: إذ يعتقد أن التفسير الموروث غالباً ما يقدم النص كمعنى جاهز ومطلق، يتجاهل السياق التاريخي والاجتماعي للنص (محمد شحرور، 2013، ص10).

يوعلي مبارك

وبعد أن ضرب مثالا يوضح به معنى التراث، يبين في أول كلامه موقفه صراحة منه قائلا: "فنحن العرب المسلمين لا خيار لنا في تراثنا، أي إننا لا نستطيع أن نضع تراثا غير التراث الذي حصل فعلا، وورثناه، ولكننا نستطيع أن نختر بأنفسنا منه ما يلزم حاضرننا ومستقبلنا، ونحن أيضا بهذا الاختيار نصنع تراثا

لأجيالنا المقبلة، إن القرآن الكريم قد نهانا عن أن نقف من التراث موقف الانصياع الأعى (محمد شحرور، 2013، ص10). - السلطة التفسيرية: حيث احتكر الفقهاء والعلماء السابقون تفسير النص، ما أعطى فهما موحدا فرضيا على الجماعة.

- وظيفة العقل: فقد أضعف التقليد دور العقل النقدي في استنباط المعنى، واعتبر النص مقدسا بطريقة تحول دون إعادة التفكير أو الاجتهاد.

وبذلك يضع شحرور العقل في مركز العملية المعرفية، مع التأكيد على أن الفهم الديني ليس امتثالا للتقليد، بل إنتاجا معرفيا متجددا قائما على التفكير النقدي والتحليل البنيوي للنص.

- التمييز بين التنزيل والقراءة:

يشدد شحرور على ضرورة التمييز بين النص المطلق (التنزيل) والفهم النسبي (القراءة)، إذ يرى أن النص القرآني في ذاته مطلق ودائم الصلاحية، بينما فهم البشر له نسبي ويخضع لظروف التاريخ والثقافة واللغة.

المطلق (النص): هو ما أنزله الله، لا يتغير ولا يتأثر بالزمان أو المكان.

النسبي (الفهم- القراءة): هو تفسير الإنسان للنص، ويعكس مستوى معرفته، وخلفيته اللغوية، وثقافته، والسياق الذي يعيش فيه.

هذا التمييز يمثل خطوة إبستمولوجية مركزية، إذ يحرر النص من الجمود ويتيح تعدد القراءات، بما يتوافق مع التطور المعرفي والاجتماعي للبشر.

: الأساس اللغوي والدلالي-

يركز شحرور على التحليل اللغوي البنيوي للنص القرآني كأساس لفهمه، ويعتمد على عدة مرتكزات رئيسية:

نفي الترادف: إذ يرفض شحرور أن تكون الكلمات القرآنية متبادلة المعنى بشكل مطلق، ويعتبر أن كل كلمة لها دلالتها الدقيقة التي تتحدد بالسياق والمعنى العام للنص (محمد شحرور، 1990، ص51).

التحليل البنيوي للمفاهيم القرآنية: يعتمد شحرور على دراسة العلاقة بين المفاهيم وكيفية اشتغالها ضمن البنية الدلالية للنص، بعيدا عن أي فهم مسبقة أو قراءات تقليدية (محمد شحرور، 2019، ص25).

التفريق بين: الكتاب - القرآن - الذكر - الفرقان: يرى شحرور أن هذه المصطلحات ليست مرادفة، بل كل منها يشير إلى بعد مختلف من التنزيل:

الكتاب: النص المكتوب والمسطّر.

القرآن: النص المنطوق والمتلوّ.

الذكر: الجانب التذكيري والتوجيهي للنص.

الفرقان: النص الذي يفرق بين الحق والباطل، أي الجانب الإرشادي التشريعي (محمد شحرور، 2019، ص45).

هذا التمييز اللغوي يسمح بقراءة دقيقة للنص، ويقوي موقف شحرور في التمييز بين المطلق والنسبي في فهم القرآن.

2.3. التاريخية ونسبية الفهم:

يعتبر شحرور الفهم البشري للنص مرتبطا بالسياق التاريخي والاجتماعي والثقافي، وبالتالي فإن القراءة ليست ثابتة أو موحدة، بل قابلة لتعدد القراءات والتطبيقات (محمد شحرور، 2020، ص10).

ارتباط الفهم بالسياق: يشير شحرور إلى أن كل قراءة للنص تتأثر بالمعارف المتاحة للإنسان في زمنه، ويتطور العلوم واللغة (محمد شحرور، 2015، ص108).

قابلية النص لتعدد القراءات: يرفض شحرور الفهم الأحادي للنص، ويؤكد أن تعدد القراءات ليس فقط ممكنا، بل هو ضرورة إبستمولوجية للتكيف مع التغيرات المعرفية والاجتماعية.

بهذا يجمع شحرور بين مركزية العقل والتحليل البنيوي و النسبية التاريخية للفهم، ليضع أسس مشروعه المعرفي الذي يتيح تجديد قراءة التنزيل الحكيم دون الوقوع في مطب التقليد أو الجمود.

3.3. البعد المنهجي والعلمي في قراءة التنزيل الحكيم:

- المنهج العلمي في مشروع شحرور:

يشكل البعد المنهجي والعلمي أحد الركائز الأساسية لمشروع محمد شحرور في قراءة التنزيل الحكيم، إذ يسعى إلى توظيف العقل والتحليل النقدي في دراسة النص الديني، مع الاستفادة من منجزات العلوم الطبيعية والرياضية لضمان الدقة والمنهجية في الفهم (محمد شحرور، 2016، ص51).

توظيف النموذج العلمي (الفيزياء – الرياضيات): -

يرى شحرور أن النص القرآني يمكن مقارنته بطريقة منهجية مشابهة للنماذج العلمية، حيث يعتمد على أسس منطقية واضحة ومترابطة، تتيح تفسير الظواهر اللغوية والدلالية بشكل دقيق:

الفيزياء: يشير شحرور إلى أن بعض الظواهر في النص القرآني يمكن دراستها بطريقة تحليلية تشبه دراسة الظواهر الطبيعية، أي عبر البحث عن العلل والعلاقات بين المفاهيم، مع مراعاة تسلسلها البنيوي.

الرياضيات والمنطق: يرى شحرور أن استخدام الرياضيات لا يعني تحويل النص إلى معادلات، بل اعتماد العقلانية والتسلسل المنطقي والاتساق الداخلي بين الآيات والمفاهيم، بما يشبه صياغة نموذج رياضي للنص (محمد شحرور، 2016، ص52)

بهذا التوظيف يسعى شحرور إلى جعل الفهم القرآني موضوعيا وقابلا للتحقق العقلي، دون الانصياع لمقولات السلطة التقليدية أو الفهم غير المدروس.

- مفهوم الضبط والاتساق المعرفي:

يؤكد شحرور على ضرورة تحقيق الضبط والاتساق المعرفي في قراءة النص، بمعنى أن كل قراءة يجب أن تكون متوافقة مع نفسها ومع المعارف العقلية واللغوية الأخرى. الضبط: يقصد به الدقة في استخدام المفاهيم، وتحديد مدلولات الكلمات والآيات، والتأكد من عدم التناقض الداخلي.

الاتساق المعرفي: يشير إلى أن الفهم القرآني يجب أن يكون متماسكا داخليا ومتوافقا مع القواعد العقلية المنطقية، بحيث لا ينتج عن القراءة استنتاجات متناقضة. ويتيح هذا المبدأ من منظور محمد شحرور منهج علمي للتعامل مع النص، مع التركيز على البعد البنيوي والدلالي للقرآن، وهو ما يميّز مشروعه عن التفسيرات التقليدية.

- نقد الغيب غير المؤسس عقلايا:

أحد أهم عناصر المشروع المنهجي هو مراجعة مفاهيم الغيب التي لا تستند إلى أسس عقلانية واضحة.

يرى شحرور أن بعض الممارسات التقليدية في فهم الغيب أفرغت النص من معناه الإبستمولوجي، وحولته إلى اعتقاد يعتمد على النقل دون تمحيص (محمد شحرور، 2008، ص30).

حيث منهجيا يرفض شحرور أي تفسير للغيب لا يمكن التحقق من تناسقه العقلي أو المنطقي مع معطيات الواقع واللغة.

و بهذا يؤكد شحرور على ضرورة الجمع بين العقلانية والمنهجية العلمية في التعامل مع النص، مع الاحتفاظ بالبعد الروحي للنص، دون الانغماس في التأويلات غير المسؤولة.

- حدود إسقاط المنهج العلمي على النص الديني:

يوعلي مبارك

رغم توظيفه المنهج العلمي، يحذر شحرور من إسقاط كامل للعلوم التجريبية على النص القرآني، إذ يرى أن القرآن ليس تجربة علمية فيزيائية، بل نص لغوي- دلالي- توجيهي.

فالمنهج العلمي مفيد في تحليل البناء اللغوي والدلالي، واختبار الاتساق الداخلي، لكنه لا يمكنه أن يحل محل الإيمان أو الغيب.

فهناك حدود منهجية يجب احترامها، بحيث يستخدم العلم كأداة لفهم النص لا كبديل عنه، مع مراعاة خصوصية النص القرآني كمرجع ديني وروحي.

وبهذا التوازن يتمكن شحرور من الجمع بين الصرامة العقلية والمنهجية العلمية، مع المرونة في الفهم التاريخي والسياقي للنص، مما يعكس إبستمولوجيا جديدة للنص الديني قائمة على العقل والتحليل النقدي.

ومنه يمكن القول إن مشروع شحرور يعتمد على منهجية علمية قائمة على العقل، والنموذج البنيوي، والاتساق المعرفي، مع رفض الجمود والتقليد، وفتح المجال لتعدد القراءات ضمن ضوابط عقلية ومنهجية. هذا كله يضع مشروعه في إطار إبستمولوجيا دينية معاصرة، تجمع بين النقد العقلاني للمعرفة والتجديد في قراءة التنزيل الحكيم.

4. النقد الإبستمولوجي لمشروع شحرور: حدود وإشكالات الإبستمولوجيا عنده:

على الرغم من الدور التجديدي لمشروع محمد شحرور في قراءة التنزيل الحكيم، إلا أن مقارنته الإبستمولوجية تواجه إشكالات نقدية مهمة، سواء من الناحية اللغوية، أو العقلية، أو فيما يتعلق بنسبية المعنى، ويهدف هذا المبحث إلى تحليل هذه الحدود بدقة، مع إبراز التحديات النظرية التي تواجه المشروع.

- إشكالية نفي الترادف:

يعتمد شحور على فرضية غياب الترادف الكامل بين الكلمات القرآنية، ما يمكنه من تمييز المفاهيم الدقيقة داخل النص، إلا أن هذه الفرضية تواجه نقدا لغويا وفق عناصر متعددة:

النقد اللغوي: يرى بعض الباحثين أن الكلمات في العربية قد تتشابه في المعنى بدرجات متفاوتة، وأن محاولة نفي الترادف بشكل صارم قد تؤدي إلى تفكيك النص أكثر مما توضح معناه.

موقف اللسانيات المعاصرة: تؤكد الدراسات اللسانية المعاصرة على أن المعنى كلمة و السياق، أي أن الترادف النسبي موجود وأن اللغة ليست نظاما رياضيا صارما، مما يجعل فرضية نفي الترادف المطلق في بعض الحالات أداة تحليلية مقيدة. بالتالي يمكن القول إن شحور نجح في توضيح الفروق الدقيقة بين المفاهيم القرآنية، لكنه يواجه تحديا إبستمولوجيا عند التعامل مع تعدد الدلالات المحتملة للكلمات وفق سياقاتها التاريخية واللسانية. إشكالية العقلانية الصلبة: -

يركز مشروع شحور على مركزية العقل كمعيار للفهم الديني، متبنيا نموذجا عقلانيا صارما يشبه المنهج العلمي في تحليله للنص. هل العقل معيار كاف للفهم الديني؟ -

على الرغم من أهمية العقل في تقييم الاتساق الداخلي للنص، يشير بعض الباحثين إلى أن العقل وحده لا يمكنه استيعاب كل أبعاد النص الديني، خاصة تلك المتعلقة بالغيب والرموز الدينية التي تتجاوز التجربة المادية. خطر إسقاط النموذج العلمي:-

إسقاط نموذج الفيزياء والرياضيات على النص الديني قد يؤدي إلى تبسيط النص وتحويله إلى نظام منطقي جامد، مع إغفال البعد الروحي والرمزي للنص.

يلاحظ النقاد أن بعض استنتاجات شحور قد تفقد أبعادا من المعنى الديني إذا تم التعامل معها بمنطق العلوم التجريبية الصارمة، ما يطرح حدود تطبيق المنهج العلمي على النص القرآني.

- إشكالية نسبية المعنى:

ينطلق شحور من مبدأ النسبية التاريخية والفكرية للفهم البشري للنص، مما يتيح تعدد القراءات.

. هل تؤدي إلى تفكيك المرجعية؟ -

يرى النقاد أن نسبية المعنى قد تضعف المرجعية التقليدية للنص إذا تم التأكيد على أن كل فهم نسبي ومؤقت، ما يفتح الباب أمام تفكيك الثوابت : حدود التعدد التأويلي-

مع أن شحور يدافع عن تعدد القراءات، إلا أن التعدد غير المقيد قد يؤدي إلى فوضى تفسيرية، حيث يصبح كل فهم مشروعاً طالما أنه منطقي، مما يطرح سؤالاً إبستمولوجياً حول معايير قبول القراءة أو رفضها.

بذلك تواجه الإبستمولوجيا الشحورية تحدياً بين فتح المجال للتجديد والفهم المتعدد، وبين الحفاظ على وحدة النص ومرجعيته الدينية.

يمكن القول إن النقد الإبستمولوجي لمشروع شحور يبرز ثلاث حدود رئيسية- الحدود اللغوية: نفي الترادف قد يبالغ في تفكيك النص، ويواجه نقداً من اللسانيات الحديثة.

الحدود العقلانية: الاعتماد الكلي على العقل والمنهج العلمي قد يغفل الأبعاد الروحية الرمزية للنص.

حدود نسبية المعنى: التعددية المطلقة في القراءة تهدد المرجعية التقليدية وتستدعي وضع ضوابط عقلية ومنهجية.

هذا النقد لا ينفي قيمة المشروع التجديدي، بل يوضح ضرورة التوازن بين العقل والتحليل العلمي، والمرجعية الدينية والسياق التاريخي، لضمان إبستمولوجيا متماسكة وواقعية للنص القرآني.

4. خاتمة

هدف هذا البحث إلى تحليل الأسس الإبستمولوجية والمنهجية لمشروع محمد شحرور في قراءة التنزيل الحكيم، مع إبراز مرونته النقدية ومحدداته، بعد دراسة مرتكزات المشروع، والمنهج العلمي المعتمد، والنقد الإبستمولوجي الموجه له، يمكن استخلاص النتائج التالية:

مركزية العقل: يضع شحرور العقل الإنساني في قلب عملية الفهم القرآني، مع نقد سلطة التراث التقليدي ورفض احتكار المعنى.

تمييز بين النص المطلق والفهم النسبي: يوضح المشروع الفرق بين ما أنزله الله (المطلق) وما يستخلصه البشر (النسبي)، ما يتيح تعدد القراءات دون الإخلال بقداصة النص.

الأساس اللغوي والدلالي: يعتمد شحرور على تحليل بنيوي للغة والمفاهيم القرآنية، مع نفي الترادف التفصيلي، وتوضيح الفرق بين الكتاب والقرآن والذكر والفرقان. المنهج العلمي والاتساق المعرفي: يسعى المشروع إلى ضبط القراءة القرآنية عبر نموذج منطقي وعقلاني، مستفيدا من مبادئ العلوم الطبيعية والرياضيات، مع احترام حدود هذا الإسقاط.

النقد الإبستمولوجي للمشروع: أبرزت الإشكالات المحتملة، مثل حدود نفي الترادف، وإشكالية العقلانية الصارمة، ونسبية المعنى، مما يوضح ضرورة توازن الفهم بين العقل، والمنهج العلمي، والمرجعية الدينية.

وما يمكن أن نستنتجه أيضا هو أن تجديد أدوات الفهم القرآني بالاعتماد على العقل والتحليل البنيوي، بدل الجمود التقليدي.

بوعلي مبارك

- دمج المنهج العلمي واللغة المنطقية في دراسة النص، ما يعزز وضوح المقاصد والبنية الدلالية للنص.
- فتح المجال لتعدد القراءات ضمن ضوابط عقلية ومنهجية، ما يجعل النص حيا وقابلا للتفاعل مع الواقع المعاصر.
- نفي الترادف بشكل صارم قد يؤدي إلى بعض التعقيد اللغوي وإشكالات في النص القرآني متعدد الدلالات.
- الاعتماد الكلي على العقل والمنهج العلمي قد يقلل من أبعاد الغيب والرمزية في النص.
- نسبية المعنى قد تؤدي إلى تفكيك المرجعية إذا لم تفرض ضوابط منهجية واضحة.
- ومنه يمكن توسيع دراسة المشروع مستقبلا في عدة اتجاهات:
- تحليل المقارنة مع مشاريع تجديدية أخرى، مثل نصر حامد أبو زيد ومحمد أركون، لاستخلاص نقاط الالتقاء والاختلاف.
- دراسة تطبيقية لكيفية ترجمة القراءة الشحرورية إلى اجتهاد فقهي معاصر.
- تطوير أدوات لغوية وإبستمولوجية لمواجهة التحديات المتعلقة بالترادف وتعدد الدلالات.
- حيث يشترك شحرور مع أبو زيد وأركون في إبستمولوجيا النص المفتوح، والاعتراف بتاريخية الفهم البشري، ونقد الجمود التقليدي.
- يختلف عنهم في توظيف المنهج العلمي والرياضيات بشكل صريح، وتأكيده على اتساق معرفي صارم بين النص والفهم.
- بالمقابل يركز أركون على إعادة قراءة التراث الإسلامي بشكل عام، بينما يركز أبو زيد على اللغة والنصوص القرآنية، في حين يقدم شحرور مشروعا متكاملا للفهم القرآني قائما على العقل والنموذج العلمي.
- ويسهم في إعادة التفكير في علاقة النص الديني بالمعرفة البشرية، ويعزز:
- انفتاح التفكير الديني على العلوم والمعرفة المعاصرة -

تعزيز الاجتهاد الفردي المبني على العقل والتحليل البنيوي-

- إعادة الاعتبار للقراءة التاريخية والنقدية للنص بعيدا عن الجمود التقليدي، مما يجعله مشروعا مؤثرا في تجديد الفكر الديني في هذا العصر.

5. قائمة المراجع:

إبراهيم شوريا، ز. (2004). الإستمولوجيا: دراسة تحليلية لنظرية العلم في التراث. بيروت، لبنان: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

باشلار، غ. (1998). إستمولوجيا (ترجمة د. الحلوجي). القاهرة: دار المستقبل العربي.

جب، ه. (1954). الاتجاهات الحديثة في الإسلام (ترجمة ك. سليمان). بيروت: دار الحياة.

الدقور، س. م. (2008). منهج التعامل مع النص القرآني. الأردن: الجامعة الأردنية، كلية الشريعة.

شحرور، م. (1990). الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة. دمشق: دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

شحرور، م. (2008). تجفيف منابع الإرهاب. لبنان: مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة.

شحرور، م. (2013). القصص القرآني (من نوح إلى يوسف). بيروت: دار الساقى.

شحرور، م. (2015). أم الكتاب وتفصيلها. بيروت: دار الساقى.

شحرور، م. (2016). دليل القراءة المعاصرة للتنزيل الحكيم. بيروت: دار الساقى.

شحرور، م. (2019). الكتاب والقرآن: رؤية جديدة (ط6). بيروت: دار الساقى.

شحرور، م. (2020). القرآن في الفكر المعاصر. بيروت: دار الساقى.

صالح، م. أ. ع. (2015). القراءة المعاصرة للنص لسورة الفاتحة عند محمد

أركون (عرض ونقد). مجلة القلم، 4، 36-60

- عصفور، ج. (1994). هوامش على دفتر التنوير. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- العلاونة، م. (2011). العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم. بيروت، لبنان: دار البشائر الإسلامية.
- الكبسي، م. ع. (2007). قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر. سوريا: دار الفرق.
- مذبوح، ل. (2011). فلسفة كارل بوبر. قسنطينة، الجزائر: الألمعية للنشر والتوزيع.
- النجار، ع. م. (2006). القراءة الجديدة للنص الديني. مركز الراية للتنمية الفكرية.